# طاغية القرية

## مأساة ذات فصلين

بقلم يوسف غصوب

## الفصل الاول

### المشهد الثاني

مريم . ليلى . ابو شهيد . ثم فارس

(عندما لا تكون المرأتان مشتركتين بالحديث يمكنهما الخروج من المسرح والعودة اليه والاهتمام بامور بيتية)

ابو شهيد ماذا ارى ؟ ما تصنعين يا ليلى ؟ من تكلمين ؟

ليلى هذا فقير يا ابي.

ابوشهيد ها ! ها ! ها ! توزعين الخبز الآن من النوافذ . . . انا أتعب واشقى واسهر الليل ، وانت توزعين الخبز بالارغفة !

ليلى فقير مسكين اعمى !

ابوشهيد فقير ! فقير ! الفقر اصبح صنعة رابحة . نحن نشتغل لنطعم الفقراء . ما يمنعه من العمل ؟ فقير ! لماذا لا يتعب ؟ لماذا لا يشتغل ؟ هذا كسلان يعيش على ظهر الناس.

ليلى ابي . . .

ابو شهيد تعلمين الناس الكسل بالاحسان اليهم . فالافضل ، يا بنت ، ان لا تعودي الى مثل هذا . واذا رأيتك بعد اليوم توزعين الخبز فلا ادري ما اصنع ! . . .

مريم ابنتك يا خليل !

ابوشهيد اغربي من وجهي انت وابنتك. سوف لا تتركان لي شيئاً . لا رعاكما الله وسوّد وجهيكما !

(مريم وليلى تتراجعان في عمق الدار وتأخذ الام في تطييب خاطر ابنتها)

ابو شهيد ( بعد ان سكن غضبه قليلاً ينظر الى الباب وينادي فارساً الواقف خارج الباب )
يا فارس ، ادخل (يجلس ابو شهيد) اجلس هنا ... ماذا تريد ؟

فارس يا سيدي ، نحن على ابواب القرّ ، والموسم هذه السنة مقبل ..

ابو شهيد لمَ هذه المقدمات كلها . قلْ لي ماذا تريد ؟

فارس يلزمني يا سيدي شيء زهيد .

ابو شهيد كم ؟

فارس عشرون ليرة .

ابو شهيد بأيّة كفالة ؟

فارس اية كفالة ! ليس لدي كفالة . هذا المبلغ اردّه لك بعد القطاف ، فان الموسم مقبل هذه السنة

ابو شهيد من يضمن لي ان يكون الموسم مقبلاً الى النهاية ؟ واذا احترق حقلك ، او مرض الدود ، او نزل بك اية مصيبة كانت فمن يرد لي المال ؟ هل يذهب مالي ادراج الرياح !

فارس معاذ الله ! ابيع كل شيء وادفع لك .

ابو شهيد (بعد ان يفتكر قليلاً) طيب ! طيب ! ولكن قلْ لي . انك الى الآن لم تطلب مني شيئاً ، وكنت في الماضي ، اذا احتجت الى قليل من المال ، استقرضته من الغير . انت تعلم من اعني بهذا « الغير » .

فارس نعم ، انيس الرامي .

ابو شهيد انيس الرامي . هذا معبودكم في القرية . فلمَ لم تطلب منه ؟

فارس انيس الرامي رجل كريم غيور قد انقذني مراراً كثيرة من مصاعب جمة .

ابو شهيد لم لم تذهب اليه ؟

فارس انه في ضيق ...

ابو شهيد في ضيق ... ها ! ها (ترى علامات السرور على وجهه) اني رأيت الضيق يسعى اليه . يبذّر ماله ، يعطي شمالاً ويعطي يميناً ، ولا يحاسب .

فارس انه رجل كريم .

ابو شهيد (على حدة) قد جاء وقته : بيته جميل واراضيه خصبة ( يخاطب فارسا ) هل هو حقيقة في ضيق ؟

فارس في ضيق شديد حتى أنه يريد بيع ارضه . انما يريد البيع نقداً .

ابو شهيد أح ! أح ! واين يجد المال نقداً في هـذه القرية ؟ . . . اتعرف كم هو طالب ؟

فارس لا أظن انه يطلب شيئاً كثيراً .

ابو شهيد قل ، يا فارس ، اصحيح انه يريد البيع ؟ هل انت متأكد ذلك ؟

فارس ذلك لا شكّ فيه ، فقد سمعته انا بأذني .

ابو شهيد واي مبلغ يطلب ؟ ألف ليرة ؟

فارس لا ادري . . . لا أظن انه يطلب اكثر من الف ليرة ، فهو في حاجة شديدة الى الدراهم .

ابو شهيد طيّب . . لنعد الآن الى ما كنا فيه . كم قلت لي انك تريد من المال .

فارس عشرين ليرة ، يا سيدي .

ابو شهيد طيّب ! أعطيك عشرين ليرة اذا رهنت لي البيت . ثم تدفع على هذا المبلغ عشرين بالمئة فائدة .

فارس هذا غبن ، يا سيدي .

ابو شهيد غبن او غير غبن . فاذا شئت فالمال جاهز ، والّا فمع السلامة .

فارس والدتي مريضة يا سيدي .

ابو شهيد شفاها الله ! هذا امر لا يعنيني (يهم بالدخول الى الغرفة)

فارس سيدي .

ابو شهيد اذهب الى الرامي فانه يرمي دراهمه . اما انا فلا .

فارس (يرفع صوته قليلاً) الرامي رجل شريف كريم فلا تشتمه به .

ابو شهيد أه إه ! وتغضب ايضاً . . . تأتونا محتاجين وتغضبون (يتهكم) اذهب يا . . . يا ولدي ، اذهب بسلام . . . البلاد واسعة .

فارس البلاد واسعة . ولكنك في هذه القرية الرجل الوحيد الذي في يده مال .

ابو شهيد اذا كان الامر كذلك فاحفظوا لي هذه المنة عليكم . أقرّوا بفضلي ،

لا تتعجرفوا . لا تتكبروا .

فارس عفوك ، سيدي ، فقد اخطأت . . . ان والدتي مريضة .

ابو شهيد طيب ! طيب ! ولكن لا تعد الى رفع صوتك مرة ثانية . فاذا تريد الآن ؟

فارس المال .

ابو شهيد هل قبلت بالشرط . تدفع بالمئة عشرين . ثم ترهن البيت .

فارس قبلت . . .

ابو شهيد طيب ! طيب ! . . (يكتب كسيالة) وقع هنا .

فارس والمال ؟

ابو شهيد وقع اولا .

فارس ولكن ، يا سيدي . المال . . .

ابو شهيد ما هذه المماطلة ؟ وقع . والا فمع السلامة ( فارس يوقع السند فيأخذه ابو شهيد ويدخل الغرفة ثم يرجع وبيده عشر ليرات يدفعها لفارس) خذ . . .

فارس هذه عشر ليرات فقط .

ابو شهيد طيب !

فارس ولكن قد وقعت لك سندا بعشرين .

ابو شهيد ليس عندي غيرها الآن . ادفع لك الباقي عند عقد الرهن .

فارس انا في حاجة اليها اليوم .

ابو شهيد قلت لك ليس عندي غيرها . الم تسمع ؟ . .

فارس يا سيدي خذ هذا مالك وأرجع لي السند .

ابو شهيد ما عندك ثقة ؟ قلت لك ادفع لك الباقي عند عقد الرهن .

فارس ثقتي عظيمة . ولكن هذه الدراهم لا تكفيني . لا تسد حاجتي .

ابو شهيد خلص ! . قد انتهى الامر . اذهب . لا تحوجني الى اخراجك بالقوة . مع السلامة . واذا شئت فهات المال واذهب .

فارس والسند الذي وقعته ؟

ابو شهيد السند . تراه بعد سنة عند المطالبة بالمال .

فارس سيدي ، ما هذه القصة ؟ ما هذه الورطة التي ورطتني بها ؟ قالوا لي عنك كل هذا فلم اصدق . . . بحياتك ، ردّ لي السند يا سيدي . . . ارتمي على قدميك . ردّ لي السند . ردّ لي الورقة . انا لست بحاجة لشيء .

مريم ما هذا العمل ، يا خليل ؟ الا تخاف الله ! ألا تخاف الناس ! ما هذه القسوة ؟

ابو شهيد انتِ ايضاً . كم من مرة قلت لك لا تتدخلي في اموري !

فارس قالوا لي انك خدّاع فلم اصدق . فلا تغيّر بك ظني .

ابو شهيد انا لا يهمني ما تظن .

فارس ارجع لي السند .

ابو شهيد لا سند ولا مال .

فارس ارجوك ، يا سيدي ، استحلفك بكل عزيز لديك .

ابو شهيد قلت لك تتعب باطلاً .

فارس استحلفك بولدك المسافر ردّه لك الله !

ابو شهيد ليس لي ولد . اذهب من هنا . كفى ! كفى !

مريم لا تجدّف ، يا خليل ، خف الله ! ردّ له السند .

ابو شهيد اسكتي ، يا امرأة !

مريم لا اسكت . لا اخاف منك . الا تخشى غضب الله ، الا تخاف ان ينقلب علينا البيت ؟ !

ابو شهيد متى كنت ترفعين صوتك بحضرتي ! أنّى لك هذه الجرأة ؟ اذهبي من وجهي . قلت لك اذهبي . . . وانت يا فارس قد كان ما كان . . .

فارس يا لك من غليظ ! يا لك من قاس ! انا ذاهب . . لعنة الله عليك . . .

مريم وليلى رحماكِ يا عذراء !

فارس ليكن هذا المال سماً في حلقك . ليت هذا المال يكون ناراً آكلة تلتهم احشاءك . جازاك الله عنا ! انتقم الله لنا منك ! لعنك الله ! لعنك الله ! (يخرج)

## المشهد الثالث

### مريم . ليلى . ابو شهيد

ابو شهيد أه ! أه ! ما ابرعهم باللعنات ! وافشلهم في جمع المال !

ليلى ربي ردّ عنا غضبك ! ايتها العذراء ، كوني لنا عوناً . اشفعي بنا .

ابو شهيد كفاك صلاة ، يا بنت ، وانت ، يا مريم ، كفي عن البكاء . فتاة حمقاء ، وعجوز خرفة ، اجرّهما ورائي . ثم صُور على الجدار يحرق امامها الزيت والبخور . لا قيمة عندكما لشيء . تحرقان الزيت كلفا الزيت للحريق . لا ادري ما يمنعني عن نزع هذه الصور . قد اصبح بيتي كنيسة . . . ابن الخوري ، يا مريم . . قد رأيته امس ماراً من امام البيت ألم يكن هنا ؟ ألم تعطه قداسات ؟ . . .

مريم يا خليل . . .

ابو شهيد بس ! الا تكفين عن النقيق . ما كنت احسب ان بيتي بركة للضفادع .

مريم يا خليل . اسمع قليلاً ( ابو شهيد يتمشى من جانب الى جانب وهو يفكر وامرأته توجه اليه الكلام وتتبعه بنظرها وهو لا ينتبه لشيء بل يحسب هل لديه من المال ما يكفي لشراء اراضي الرامي ) . ارفع هذه الغشاوة عن نظرك ، ان نظرك هذا لمخيف . ان يدك هذه المرتجفة الاصابع انها ليد هائلة راعبة . انها يد سفّاك دماء ، عاصر قلوب ، يد مفترس . الا تسمع اللعنات ، الا تسمع صوت الارامل ، صوت الايتام ؟ اليس في صدرك رحمة ؟ اليس في صدرك قلب ؟ الا تذكر ابنك . . .

ابو شهيد لا بدّ لي من الف ليرة لشراء اراضي الرامي . . .

مريم الا تشفق على فتاتك المسكينة ، على هذا القلب الطاهر ، على هذه الزنبقة التي تكاد الاشواك تخنقها ! ما ذنبها ؟ ما ذنبي انا ؟ ينفر منا الناس . نعيش منقطعين عن العالم الخرف واللعنة والحقد تحفّ بنا . . .

ابو شهيد ارض واسعة . فيها ماء ، واشجارها قائمة ، وتربتها جيدة ، اذا اشتريتها

اصبحت اكبر ملاك في لبنان ... طالما ضحكتَ مني ، يا رامي ، فآن ان تبكي . المال . المال ... هو شيء عَجَب ، شيء عظيم ، عجيب غريب . تضع المال في كفة ، وتضع جميع خيور العالم في كفة ، فترجح كفة المال .. الناس جبناء يرتعشون . يخافون شيئاً لا وجود له يسمونه الضمير . من منكم رأى الضمير ؟ يخافون غضب الصور والقديسين . يركعون امامهم يصلّون . واذا مرّ احدهم بامنى قبض عينه يده خوف الاثم خوف الخطيئة ... يخاف ان يقع في الخطيئة ! اه .. اه .. بُلهاء ! الافضل لهم ان يكونوا عبيداً تحت السوط . اما نحن فنحن الاسياد : قليل من البخل ، وقليل من الطمع ، ويرتجف الناس منا ، ويخشون بطشنا ، ويجولون حول بيوتنا مستعطفين صاغرين يسألوننا ان نتوسل لهم في امورهم . ونحن نأخذ منهم اجرنا ونتوسل لهم . لا نعطي شيئاً مجاناً . يخافنا الكبير والصغير لاننا اغنياء ، واصحاب مطامع ، لان ليس لنا قلب ... هل الذ من الغنى ! هل اجمل من تلك الهالة الذهبية التي نتعمم بها والتي تبهر عيون الناظرين الينا . يلومنا البلهاء لاننا بخلاء . ثم يخرّون على يدنا يقبلونها .

مريم اني اتوسل اليك ، ايتها العذراء ، ان تردي عنا غضب الله . انه مجنون قد اختلط عقله .

ابو شهيد الا تزالين هنا ايتها الضفدعة ... ايتها المرأة النتنة الكئيبة . اهذا عرفانك للجميل ؟ اي شيء كنتِ ؟ نشلتك من الفقر المدقع ورفعتك الى مركز يحسدك عليه جميع الناس ، وانت لا تنفكين تنقين .

مريم ليتني بقيت كما كنت ولم ارَ ظلمك وقساوة قلبك .

(يقرع الباب قرعاً لطيفاً)

ابو شهيد من يقرع الباب في مثل هذه الساعة ؟ لعله احد الفقراء . قد اعتاد هؤلاء الكسالى المجيء الى هذا البيت يضحكون عليكِ وعلى ابنتك .. افتحي يا ليلى وان كان هذا الرجل من الفقراء فاغلقي بوجهه الباب . (يخرج) (لها صلة)